هنا بأنّ الفلسطيني البسيط، وهو أصدق وأكثر تعبيراً من السياسي والمثقف، يسمي الاسرائيليين بـ«اليهود» لا «الإسرائيليين». في هذا الصدد، كان رأي أسامة بن لادن وأيمن الظواهري أثناء تأسيسهما لـ«تنظيم قاعدة الجهاد» في شباط 1998 بأنّ هناك «تحالفاً صليبياً» هو رأس أفعى تشكل الدولة اليهودية في فلسطين «ذنبها» وقد ترافق مع تأسيس التنظيم اعلان قيام «الجبهة العالمية لمحاربة الصليبيين واليهود». أتت ضربة 11 سبتمبر 2001 من هذه الرؤية ولانشاء حرب عالمية بين «فسطاطي الايمان والكفر» من خلال جر الأميركيين للتدخل العسكري في العالم الاسلامي. نجحا من خلال تلك الضربة وعبر كابول 2001 وبغداد 2003 في جرّ واشنطن للوقوع في مستنقع «صدام حضارات»، وفق تعبير صموئيل هنتنغتون. من هنا تركيز تنظيم «القاعدة» على الغربيين وليس على إسرائيل، ولتبيان أن ما حذره سركيس لبشير الجميل من الوقوع فيه قد وقع فيه الغرب ولكن بالمعنى الذي يراه تنظيم «القاعدة». تحمل استراتيجية «داعش» منذ سقوط الموصل في 10 حزيران 2014 استراتيجية تماثل 11 سبتمبر نحو دفع واشنطن وباقي الغربيين من جديد أمام وقع ضربة مفصلية للتورط في التدخل العسكري المباشر. ويبدو أن اعلان «دولة الخلافة» بعد الموصل بأسابيع هدفه ايقاظ مخاوف من الدلالات التاريخية الموجودة في الوعي الجمعي الغربي تجاه كلمة «الخلافة» لجر واشنطن ولندن وباريس نحو المواجهة المباشرة، وهو ما يتفاداه باراك أوباما حتى الآن.

أظهرت 11 سبتمبر 2001 ومدريد 11 آذار 2004 ولندن 7 تموز 2005 ثم باريس7 كانون الثاني2015 بأن «رهاب الاسلام» عند الغربيين ما زال قوياً وبأن تلك المحطات العنيفة لم تفعل أكثر من إثارة وايقاظ، وليس تقوية، موروث تاريخي يعود إلى «بواتييه» عند الغرب اللاتيني والأنكلوساكسوني. بالمقابل فإن هذا الرهاب الجمعي الغربي، وخاصة في فرنسا، يدفع الكثير من المسلمين في المجتمعات الغربية للشعور كما شعر اينشتاين أمام النازية لما قال بأن هتلر «قد أشعره وهو الملحد بيهوديته». وهناك شيوعيون سوريون قد سموا أولادهم باسم «محمد» رداً على الرسوم الدانمركية المهينة عام 2006. السؤال الآن: ألا تلخص باريس 7/ 1/ 2015 مزيجاً قادت فيه «كوبنهاغن ثانية» إلى «11 سبتمبر فرنسية»؟

* كاتب سوري

سلطة أوسلو-ستان توقيف التنسيق الأمنيّ مع الكيان الاستعماريّ، قبل التوجّه إلى المنظمات الدوليّة؟ ممّ يخشى؟ مُضافاً إلى ذلك، علينا التذكّر والتذكير، بأنّ المحكمة عينها اتخذّت قراراً في التاسع من تموز (يوليو) عام 2004، طالب إسرائيل بإزالة جدار العزل العنصريّ من كل الأراضي الفلسطينيّة، بما في ذلك القدس الشرقيّة وضواحيها مع تعويض المتضررين من بناء الجدار. وماذا كانت النتيجة بعد مرور 10 أعوام على إصدار القرار؟ مكتب الأمم المتحدّة لتنسيق الشؤون الإنسانيّة قال في الثالث من شهر كانون الثاني (يناير) الجاري إنّ عشر سنوات قد مرّت على رأي محكمة العدل الدولية الاستشاري تجاه جدار الفصل وعدم شرعيته والمبني على الأراضي الفلسطينية المحتلة. وتابع: تمّ بناء اثنتين وستين في المئة من الجدار حتى الآن، بما في ذلك 200 كيلومتر منذ صدور القرار عام 2004، أيْ أنّ إسرائيل، هذه الدولة المارقة بامتياز والمُعربدة بدعم ماديّ ومعنويّ من واشنطن، واصلت تنفيذ المخطط ضاربة عرض الحائط بالقرار الدوليّ، وبالتالي، يُمكن الاستنتاج بأنّ التوجّه الفلسطينيّ إلى التنظيمات الدوليّة لمقاضاة دولة الاحتلال، هو تعبير إضافيّ عن غياب استراتيجيّة فلسطينيّة واحدة وموحدّة تجاه التعامل مع إسرائيل وأميركا، علاوة على أنّ هذه التوجّه يؤكّد المؤكّد ويُوضّح المُوضّح: استحواذ فتح وحماس على القرار الفلسطينيّ، فتح في «دويلة» الضفّة وإمارة حماس في القطاع، وتغييب اليسار الفلسطينيّ أوْ بالأحرى انخراط اليسار الفلسطينيّ في سلطة أوسلو، يسمح للقوى الدوليّة والإقليميّة بالتلاعب بالقضية الفلسطينيّة، والعمل بإصرار أكثر على تكريس حالة الشرذمة التي تُميّز التيارات الفاعلة على الساحة الفلسطينيّة في الداخل وفي الخارج.

■■■

صحيح أنّ الأكثرية الساحقة من الدول العربيّة استأسدت على سوريا وتكالبت عليها، خدمةً للأجندات الإمبريالية والصهيونيّة، وخلال أقّل من عام بعد اندلاع الأزمة في بلاد الشام، قررت جامعة الدول العربيّة تعليق عضوية هذه الدولة المُقاومة والمُمانعة في هذا الجسم الهلاميّ، الذي لا يُسمن ولا يُغني عن جوع، وحتى بيانات الشجب والاستنكار والتعبير عن الامتعاض، باتت ممجوجة ولا تُساوي الحبر الذي كُتبت فيه، مع كلّ ذلك، على الشعب العربيّ الفلسطينيّ، قبل أنْ يسأل ماذا فعل بنا ولنا العرب، أنْ يُوجّه هذا السؤال إلى مَنْ قاده إلى كارثة أوسلو، بمن فيهم ياسر عرفات. حتى اليوم، وعلى الرغم من الجهود الجبارّة التي بُذلت لسبر غور ظاهرة أوسلو، نُقّر ونعترف بأنّ الفشل كان من نصيبنا. أوسلو، بعد أكثر من عشرين عاماً، أوصلنا إلى الحضيض، لا بلْ إلى الدرك الأسفل، وقبل التوجّه إلى التنظيمات الدوليّة لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه، يتحتّم حلّ السلطة وإعادة المُسميات إلى نصابها الصحيح: الاحتلال هو احتلال، والمُقاومة، بما في ذلك الكفاح المُسلّح، هي مُقاومة شرعيّة لاحتلال غير شرعيّ، كما نصّت المواثيق والمعاهدات الدوليّة. تذكّروا ما قاله حكيم الثورة وضميرها، الشهيد د. جورج حبش: إسرائيل ليست أقوى من أميركا، والشعب الفلسطينيّ ليس اضعف من شعب فييتنام.

* كاتب عربي ـ فلسطين

يوسف بيدس وزوجته و«إنترا» ثالثهما

التاريخ إن حكى

كمال ديب *

في عام 2009 بدأتُ العملَ على سيرة المصرفي يوسف بيدس الذي ارتبط اسمه بفترة حرجة من تاريخ لبنان هي أزمة إنترا عام 1966. وشاءت الظروف أن يصدر الكتاب بعنوان «يوسف بيدس إمبراطورية إنترا وحيتان المال في لبنان» في نهاية عام 2014 وقبل أيام من رحيل وداد سلامة زوجة بيدس يوم 21 كانون الأول. واللافت للنظر أن الإعلام في لبنان لم يذكر شيئاً عن وفاتها ولم يسلط الضوء على هذه السيدة ومن تمثل وما تخزن من ذكريات عن زوجها الذي سقط ضحية الطبقة السياسية والمالية في بيروت وعاش خارج لبنان منذ خريف 1966 حتى توفي عام 1968 في سويسرا. في 5 كانون الثاني 1968 وجّه الوزير كمال جنبلاط رسالة إلى وداد سلامة جاء فيها ما يلي: «المؤامرة السياسية كانت غيمة سوداء فوق إنترا. الدولة هي المسؤولة عن بنك إنترا، امّا يوسف بيدس فنحن نعتبره الرجل الذي بنى أكبر مؤسسة عرفها لبنان الحديث في تاريخه القصير. ستمّر السنون ولن نرى في لبنان شخصاً يوازي ما فعله زوجك أو أن ينجح كما نجح هو في بناء هذه المؤسسة. لعلّه كان فرصة لبنان الأخيرة لبناء مصرف بمستوى عالمي. وربما كان ثمّة أمر ما غير حميد بين زوجك ورئيس الجمهورية، أو بينه وبين رجال المال والأعمال الذين راقبوا تحركاته. مهما كان الأمر، نحن نعلم عن أشياء حصلت لعلكِ لا تعرفينها».

بدأت وداد سلامة حياتها مع يوسف بيدس عام 1946 بعدما التقيا في مدينة القدس في منزل خالها اللبناني منير أبو فاضل الذي كان يعمل في الشرطة الفلسطينية آنذاك. وفي حفل الزفاف لم يسع الفرح

> **عندما عزمت الطبقة السياسية على القضاء على بيدس عام 1966 بقيت وداد في بيروت**

قلب يوسف بيدس الشاب وهو يغتنم الفرصة مراراً لتقبيل عروسه اللبنانية الجميلة. كان يوماً خريفياً ناعماً في القدس من أيام كانون الأول 1946 وقد احتشد في حفل الزفاف عشرات الأقارب والأصدقاء والضيوف للاحتفاء بيوسف، المصرفي المعروف في أرجاء فلسطين وابن العائلة الكبيرة التي كان من أبرز فاعلياتها خليل بيدس الأديب والناشر والزعيم الوطني، والاحتفاء بوداد سلامة، ابنة اخت منير أبو فاضل. ظهرت في حفل الزفاف تفاصيل عدّة عن بيدس. فقد بدا في هذا الشريط أنيقاً وسيم الطلعة، يتمتّع بطلّة جميلة وكأنّه كلارك غابيل في فيلم ذهب مع الريح أو بطل من أبطال هوليوود. والمسألة الثانية أنّه كان محاطاً بعدد كبير من الأهل والأقارب والأصحاب، بدوا جميعاً من الطبقة الوسطى ما يدحض قول كثيرين أنّ بيدس جاء بيروت فقيراً مدقعاً حافي القدمين أو أنّه كوّن نفسه وثروته في لبنان.

فمَن يعلم لو بقي بيدس في القدس واصبحت فلسطين دولة مستقلة ولم تبتلعها الحركة الصهيونية، لكان شخصاً عظيماً ومصرفياً عالمياً أيضاً. وستبقى حسرة في نفسه خسارة فلسطين وعدم استطاعته تسخير أفكاره ومشاريعه فيها. وعوّض عن هذه الخسارة بأن منح مواهبه إلى لبنان الذي تنكّر له وقتله في أوج تحقيق أحلامه وآماله الوطنية والعربية.

والملاحظة الثالثة هي أنّه كان يقبل عروسه وداد بشكل دائم ومن دون خفر كلّما وقعت الكاميرا عليهما. فهو كان عاشقاً للنساء وتصرّفه دلّ على تحرّر ثقافي غربي بعيداً من المحلية والتقاليد الشرقية.

أمّا عروسه وداد سلامة فقد كانت في فستان عرس أبيض بإطلالة بهية وقامة طويلة، خجولة كبنات البلاد يوم زواجهن. لقد وُلدت وداد في لبنان، وهاجر ذووها إلى أفريقيا وسنّها لم يتجاوز السّت سنوات. فأودعوها مع شقيقيها في مدرسة الشويفات الداخلية. وفي سنها العاشر انتقلت للعيش في القدس حيث يعمل خالها الذي كان على علاقة صداقة بأسرة بيدس. وهناك التقت بيوسف الذي تزوجته عام 1946.

بعد الزفاف كان يوسف ووداد في منتهى السعادة، وامتد شهر العسل ليصبح أشهراً، ثم قرّرا في منتصف 1947 أن يباشرا في انجاب الأولاد. ولكن شاءت الظروف أن يكون حظ العريسين عاثراً. إذ إنّ نكبة فلسطين وقعت في العام نفسه، وامتد القتال إلى القدس. فأرسل يوسف زوجه الحامل الى بيروت وبقي هو في القدس يعمل إلى أن اشتدت المعارك بين الفلسطينيين والمنظمات الصهيونية، فاضطر للانتقال هو ايضاً إلى بيروت. وهكذا هاجر يوسف بيدس وزوجته مع 104 آلاف فلسطيني إلى لبنان، حاملاً بعض المال وعشرين عاماً من الخبرة في الإدارة وفي القطاع المصرفي. ووُلد ابنهما البكر مروان في لبنان عام 1948 ووُلد فيما بعد غسان وزياد. وهذه الأسماء العربية الصافية لأولاد يوسف ووداد عكست خلفية أرثوذكسية غسانية لعائلة بيدس ولتأثير الوالد الأديب خليل بيدس.

والواقع أن يوسف بيدس كان منصرفاً تماماً إلى أعماله المصرفية والاستثمارية ويمضي القليل من الوقت مع العائلة. فكان دور وداد سلامة يمتد من تربية الأولاد والاهتمام بشؤون الأسرة إلى نشاطات متعددة في بيروت شملت الحياة الاجتماعية. وعلى مدى 15 سنة وحتى 1966 رعت وداد بيدس الفنون في بيروت كما فعلت كثيرات من سيدات المجتمع من جيلها وخصوصاً في إطار مهرجانات بعلبك الدولية في الستينيات. وكانت وداد سلامة سيدة مجتمع من الطراز الأول، جميلة وفي عزّ شبابها، ترتدي ملابس بذوق رفيع اختارتها من أغلى وأرفع شركات الموضة في باريس والعواصم الأوروبية، ما يناسب قامتها الطويلة نسبيّاً. وأينما حلّت في ليالي بيروت تحلّقت حولها دائرة من المعجبين، رجالاً ونساءً، يتبعون خطواتها. وكانت إضافة إلى تشجيع الفنون تصرف وقتاً في أعمال الخير. ومن أبرز نشاطاتها في دعم الفن كان رعاية الأعمال الغنائية والموسيقية، فكانت تُشاهد دوماً برفقة المطربات الشهيرات اللواتي كُنّ صديقات حميمات لها. وفي حين كان زوجها يوسف بيدس يهتمّ ببناء امبراطوريته المالية، كانت وداد تبني بيئة مكمّلة للأولى لها أوجه محدّدة في المجتمع والفن.

وهي قالت في مقابلة صحافية بعد وفاة زوجها مع مجلة المصارف: «قليل من الناس يعرف أن المرحوم كان يولي عنايته لإنترا أكثر مما يوليه لزوجته وأولاده. فحب زوجي لبنك إنترا ولتطويره وتنميته لا يسمو عليه حب آخر وأنا أقدس فيه ذلك. كان إنترا بالنسبة له قضية حياته وكرس له كل نشاطاته. وتدمير إنترا كان تدميراً لزوجي الذي كنت أقدره كرجل نابغة أكثر مما أقدره كزوج».

عندما وقعت الحرب الأهلية في لبنان عام 1958، قرر يوسف ووداد ترحيل الأطفال عن لبنان ليتابعوا دراستهم في انكلترا. وكانت وداد تحضر إلى لندن مراراً حيث يتعلّم أولادها في المدارس البريطانية. وهناك كان موظفو فرع إنترا لندن يرافقونها في السهرات والحياة الاجتماعية والمسرح والموسيقى، أو إلى خارج لندن في جولة ريفية. فكانت تستمتع بالمقاهي الانكليزية العريقة حيث يقدّم الشاي بأنواعه مع قطع الحلوى الصغيرة والمربّى. كما أنّها كانت تصرف بعض الوقت في كازينوهات المقامرة الشهيرة لممارسة هواياتها في ألعاب الحظ. إلا أنّها لم تكن مدمنة على المقامرة، وكان إنفاقها على مشترياتها في العاصمة البريطانية معقولاً ومحدوداً وليس من دون حدود، وكانت تذهب أيضاً إلى جنيف حيث فرع لإنترا أيضاً فكانت تمضي هناك أياماً ثم تعود إلى بيروت.

عندما عزمت الطبقة السياسية اللبنانية القضاء على بيدس في تشرين الأول 1966 بقيت وداد في بيروت لأشهر عدة تعاني من تداعيات الأزمة ومعها الابن الأصغر زياد فيما كان يوسف بيدس يسافر من بلد لآخر لجمع السيولة لإنقاذ امبراطوريته. ثم طالت الفترة التي فرّقتها عن زوجها. فطارت إلى لندن حيث ولديها مروان وغسان في آذار 1967 وأودعت ابنها الأصغر زياد في عهدة أصدقاء للعائلة، ثم تابعت إلى سان باولو للقاء زوجها. وهناك مكثت شهرين حيث قرّرت مع زوجها أن تعيش هي في بريطانيا لتكون إلى جانب أولادها الثلاثة. واستأجرت شقّة في لندن وانتقلت إليها في أيّار 1967.

وإذ ابتعدت طويلاً من الضوء، إلا أنّها كانت تتكلم إلى الاعلام ومما قالت: أنا لبنانية ولا أصدق أن في لبنان من يعمل على تجويع شعبه وإفقاره وبهذه الحالة لا فرق بينهم وبين جمال باشا السفاح التركي. فلبنان الجميل وشعبه الطيب تسيطر عليهما قوى لا تفرق بين حق وباطل أو بين حلال وحرام، طبقة همها امتصاص أموال الناس... أنا أعيش في دوامة لم أخلقها ولم يخلقها زوجي بل افتعلتها السلطة الحاكمة في لبنان وكنا نحن ضحاياها».

* أستاذ جامعي ـ كندا